بينما أن سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكان يعجبنا
أن يجئ الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء
رجل من أهل البادية فقال يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم
أن الله تعالى أرسلك قال صدق الحديث قوله نهينا أن
نسأل يعني سؤال لا ضرورة إليه كما قدمنا بيانه قريبا في المقدمة
الأول سلوني أي عما تحتاجون إليه وقوله الرجل من أهل البادية
يعني من لم يكن بلغه النهي عن السؤال وقوله العاقل ليكون أعرف
بكيفية السؤال وآدابه والمهم منه وحسن المراجعة فإن هذه
أسباب عظمى الانتفاع بالجواب ولأن أهل البادية هم الأعراب
ويغلب فيهم الجهل والجفا ولهذا جاء في الحديث من بدا جفا
والبادية والبدو بمعنى وهو ما عدا المحاضرة والعمران والنسبة
إليها بدوي والبداوة الإقامة بالبادية وهي بكسر الباء عند جمهور
أهل اللغة قال أبو زيد هي بفتح الباء قال ثعلب لا أعرف البداوة
بالفتح إلا عن أبي زيد وقوله فقال يا محمد قال العلماء لعل هذا كان
قبل نزول النهي عن مخاطبته صلى الله عليه وسلم باسمه قبل نزول
قول الله عز وجل لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على أحد التفسيرين أي لا تقولوا يا محمد بل يا رسول الله يا نبي الله
ويحتمل أن يكون بعد نزول الآية ولم تبلغ الآية هذا القائل
وقوله زعم رسولك أنك تزعم أن الله أرسلك قال صدق ففعله
زعم وتزعم مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه دليل
على أن زعم ليس محضوضا بالكذب والقول المشكوك فيه بل يكون
أيضا في القول المحقق والصدق الذي لا شك فيه وقد جاء من هذا
كثير في الأحاديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال زعم جبريل
كذا وقد أكثر سيبويه وهو إمام العربية في كتابه الذي هو إمام
كتب العربية من قوله زعم الخليل زعم أبو الخطاب يريد بذلك

القول

القول المحقق وقد نقل ذلك جماعات من أهل اللغة وغيرهم ونقله
أبو عمر الزاهد في شرح الفصيح عن شيخه أبي العباس ثعلب عن العلماء
باللغة من الكوفيين والبصريين والله أعلم اشترط أن هذا الرجل
الذي جاء من أهل البادية اسمه ضمام بن ثعلبة بكسر الضاد المعجمة
كذا جاء مسمى في رواية البخاري وغيره قوله قال فمن خلق السما قال
الله قال فمن خلق الأرض قال الله قال فمن نصب هذه الجبال وجعل
فيها ما جعل قال الله تعالى قال فبالذي خلق السما وخلق الأرض
ونصب هذه الجبال آلله أرسلك قال نعم قال وزعم رسولك أن
علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا قال صدق قال فبالذي أرسلك
آلله أمرك بهذا قال نعم هذه جملة تدل على أنواع من العلم قال صاحب
التحرير هذا من حسن سؤال هذا الرجل وملاحة سياقته وترتيبه
فإنه سأل أولا عن صانع المخلوقات من هو ثم أقسم عليه بأن يصدقه
في كونه رسولا للصانع ثم لما وقف على رسالته وعلمها أقسم عليه بحق
مرسله وهذا ترتيب يقتضيه العقل رصين ثم إن هذه الأيمان جرت
للتأكيد وتقرير الأمر لا لافتقاره إليها كما أقسم الله تعالى على أشياء
كثيرة هذا كلام صاحب التحرير قال القاضي عياض والظاهر أن هذا
الرجل لم يأت إلا بعد إسلامه وإنما جاء مستثبتا ومتثبتا للنبي صلى الله
عليه وسلم والله أعلم وفي هذا الحديث جمل من العلم غير ما تقدم منها
أن الصلوات الخمس متكررة في كل يوم وليلة وهو معنى قوله في
يومنا وليلتنا وأن صوم شهر رمضان يجب في كل سنة قال
الشيخ أبو عمرو بن الصلاح وفيه دلالة لصحة ما ذهب إليه أئمة
العلماء من أن العوام المقلدين مؤمنون وأنه يكتفى منهم بجزم واعتقاد
الحق جزما من غير شك وتزلزل خلافا لمن أنكر ذلك من المعتزلة
وأنه صلى الله عليه وسلم قرر ضماما على ما اعتقده عليه في تعريف
رسالته وصدقه ومجرد إخباره إياه بذلك ولم ينكر عليه ذلك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)